بالتعليم كمجال لتخطي البطالة المنتشرة هناك . الا ان هذا التعلق بالتعليم لم يستمد دوافعه فقط من الاسباب المحلية ، بل ان نمو مجالات العمل للمتعلمين في دول النفط ضاعف ايضا من هذا التعلق ، بحيث اصبح التعليم املا وهاجسا يستنفران الامكانيات المعنوية والمادية للفرد وللأسرة وللعائلة بأكملها لتعليم القادرين ذكورا وإناثا كاستثمار اقتصادي مأمون ومضمون الريع . وفي اواخر الستينات ، ومع انتشار التعليم في الدول النفطية المختلفة نفسها ، ارتفع الطلب على المتعلمين المؤهلين تربويا وجامعيا ، فجاء هذا الطلب النوعي حافزا للكثيرين من الفلسطينيين الذين كونوا مدخرات للتفرغ للدراسة الجامعية والحصول على مؤهلات عليا تضمن لهم مناصب احسن ودخلا أعلى من السابق .

ويخلص المؤلف الى القول بأن التعليم قد احتل مركزا محوريا في تفكير الفرد الفلسطيني ومسلكه واصبح يرى فيه المجال الانسب للاسراع في تطوير الوضع المعيشي وتلبية الاحتياجات الجديدة ، كما رأت فيه الجماهير المعدمة هدفا اساسيا يتطلب التضحية وتضامن الجهود داخل الاسرة والعائلة . وأوجد هذا الاندفاع وراء التعليم وضعا متعدد الجوانب

١ ــ تفاوتا علميا واضحا بين الأجيال

٢ ــ بطالة جديدة تشمل الشباب المتسرب قبل الانتهاء من الدراسة الثانوية ، والعازف عن العمل اليدوي

٣ ــ تضخما متزايدا في عدد حملة شهادة الثانوية العامة ، تطلعا للعمل الثابت ، والتأهيل العالي ، كطريق للنجاح الاقتصادي والاجتماعي .

٤ ــ تضخما آخر على مستوى التعليم العالي او الجامعي لتقلص فرص العمل لحملة الشهادة الثانوية ، واللجوء الى هذا التعليم كمنفذ اخير لضمان العمل والنجاح ، مما دفع افواج حملة الليسانس لمتابعة الدراسة الجامعية العليا .

٥ ــ تطور تعليم الاناث للحاجة الى دخلهن وتوفر مجالات عمل لهن في القطاع التربوي .

الاحتلال وانتشار الثورة المسلحة

ينتقل المؤلف ، في الفصل الثالث والاخير ، الى بحث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني قبل التحولات السياسية العميقة . فيلقي مزيدا من الضوء على هذه الاوضاع قبل حرب سنة ١٩٦٧ ، تلك الفترة التي تميزت بانبعاث الشخصية الفلسطينية على الساحة العربية متجاوزة الشتات والحصار السياسي . فحاول المؤلف في هذا الفصل ، التعرف على الاوضاع الانتاجية والمعيشية للتجمعات الفلسطينية التقليدية والجديدة ، والاقتراب من فهم أثر ارتفاع المستوى التعليمي للاجيال الصاعدة ، والاعتماد الاساسي عليهم لتحسين وضع الاسرة ، وعلى العلاقات ، داخل الاسرة نفسها بشكل خاص ، وعلى المجتمع المحلي بشكل عام فيوضح المؤلف من اجل هذا الغرض ان هناك تقاربا ثقافيا بين الاجيال الفلسطينية لم يمنع نشوء تفاوت في الوعي السياسي ــ الاجتماعي بينها نتيجة لتسييس الجيل الجديد خلال الانتظام التعليمي الطويل . الا ان هذا التسييس المكثف للجيل الجديد لم ينعكس بصورة وعي اجتماعي تقدمي ، وذلك بسبب تخلف الوضع التربوي ، وتغلب فكر البرجوازية الصغيرة ومسلكها على الأحزاب السياسية العربية . وجاءت الظروف المعيشية والعملية لتخفف ــ كما يقول المؤلف ــ من راديكالية الوعي السياسي لمعظم افراد الجيل الجديد ، ولتخلق تقاربا في مسلك الاجيال .

ويستطرد المؤلف في تلمس الاثار الاجتماعية للتعليم فيقول ان ادراك الفلسطينيين لاهمية التعليم عامة عزز دور الفتاة ومكانتها داخل وخارج اطار الاسرة . الا ان هجرة المتعلمين ذكورا وإناثا للعمل في دول النفط ، اثرت سلبا في التطور الاجتماعي ، فبقي نفوذ القوى التقليدية اضافة الى قيمها العشائرية ، مسيطرا ، وتعززت مكانة الوجاهة التقليدية ، التي استطاعت استيعاب قسم كبير من ايجابيات التطور التعليمي الذي عم المخيم الفلسطيني .

وفي ختام بحثه يلخص المؤلف أهم الافكار والاراء التي وصل اليها خلال تحليله الطويل . وهو يشير الى مساهمة التعليم كممارسة ، وكاطار تنظيمي ، في تعميق الانتماء الوطني القومي ، وابراز شخصية مستقلة للاجيال الصاعدة ، تدعم ارادة العودة والنضال . لكن الالتزام الاجتماعي تجاه الاسرة ، وهيمنة الطموحات الاستهلاكية المتزايدة ، نتيجة لنمط الثقافة السائدة ، والعقلية التفاخرية ، خلقت للفرد المتعلم معضلة تحديد المسلك السياسي ــ الاجتماعي المتجانس . فالمتعلم يتوق الى العمل السياسي المباشر ، بينما يبتعد عنه دخلا واستهلاكا ، ولم يثنه اي حل جذري عن البقاء في دوامة التناقض . وقد عجزت الحركات السياسية الفلسطينية عن الاحاطة بكامل ظروف الشعب العربي الفلسطيني ، فتخلفت عن وضع استراتيجية نضالية متكاملة ، وإيجاد أطر تعبوية ، قادرة على تحقيق توازن في مسلك الفرد وطنيا واجتماعيا .

وجاء الانتشار التعليمي واستمرار الانتساب المدرسي والعالي ، وليد الطموحات الاقتصادية ، فحرك حماس الاسرة والجيل الجديد ، لكن عملية التعليم لم تستطع الارتقاء الى مستوى نهج تفكيري عقلاني ، يؤثر على الحياة الاجتماعية والسياسية ، لارتقاء الفرد والاسرة والجماعات باسلوب التعليم القائم .

وبعد ، فهذا الكتاب يمثل جهدا كبيرا للمؤلف في تقديم عمل علمي يستطيع ان يسهم في فهم جانب من جوانب الواقع الفلسطيني المتشابك والمعقد .